الباب الثانى

مكانة التأمل بين الاتجاهات

الأدبيـــــة الأخـــرى

وطرق التعبير عنه

الفصل الأول: سيطرة النزعة التأملية على اتجاهات الأدب المهجرى المختلفة.

الفصل الثانى : طرق التعبير عن التأمل :

أ - فى الشعر .

ب - فى النثر .

الفصل الثالث :

الخصائص والمؤثرات .

الفصل الأول

(أ) سيطرة النزعة التأملية على اتجاهات الأدب المهجرى

تتعدد الاتجاهات فى الأدب المهجرى . شأن كل أدب جاد . كالحقل الخصب الذى ينتج الثمار المتنوعة والمتعددة وكل منها نافع ومفيد .

واهم الاتجاهات التى سيطرت على مشاعر المهجريين هى :

أ - الاتجاه القومى .

ب - الاتجاه الاجتماعى .

جـ - النزعة التأملية : وسأحاول فى إيجاز أن أوضح ملامح الاتجاه القومى والاجتماعى من خلال دراستهما عند بعض الأدباء الذين شاع فى نتاجهم هذان الاتجاهان . وذلك لإبراز قيمة الاتجاه الثالث ومدى تغلغله فى معظم الأدب المهجرى فهو منه كالقلب من الجسم منه تبدأ الحياة وإليه تعود .

أ - الاتجاه القومى :

ليس غريبا أن يتجه بعض المهجريين هذا الاتجاه لأن الغصن وإن امتد خارج دائرة شجرته إلا أنه يظل فى حنين دائم إلى جذوره التى تهبه عناصر الحياة .

وظل الوطن نشيد غربتهم وملاذ أشواقهم ، فلا تجد منهم من لم تظهر بصمات الوطن فى أدبه بصورة مباشرة أو غير مباشرة . وهم وإن اتفقوا فى الحنين إلى وطنهم والتمسك بقوميتهم . إلا أنهم اختلفوا فى وسيلة التعبير .

فالشماليون : وخاصة جبران ونعيمة جاء تعبيرهم عن الوطن تعبيرا فنيا . فهم لم يناجوه بأنفاس صارخة ملتاعة فيها حرقة المغترب وعفوية المشتاق . ولكن الوطن امتزج بأنفاسهم وفنهم فجاء أدبهم من وحى أجوائه وظروفه السياسية والثقافية والاجتماعية .

وكتاب النبى :

صورة لغربة جبران الروحية فى أميركا . وأشواق عليا إلى وطنه الذى غاب عنه ثم رجعت سفينته إليه مرة أخرى . ومرداد ، والفلك ، وقمة المذبح ، ومنحدر الصوان ، كلها تكون صورة واقعية حقيقية لجبل صنين مستقر نعيمه والوسيلة التى لجأ إليها أدباء الرابطة القلمية أخصب خيالا وأمتع فنا من التعبير المباشر الذى لجأ إليه أدباء العصبة الأندلسية .

وأدباء الرابطة القلمية يختلفون عن العصبة الأندلسية فى العقيدة القومية فهم أى : أعضاء الرابطة " لاينادون بالقومية العربية ولايتعصبون لها مثلما يحنون إلى لبنان ويشتاقون للعودة إليه .

فأدباء الرابطة القلمية كان اتجاههم وطنيا ، أما أدباء العصبة الأندلسية فقد كان اتجاههم قوميا عربيا . فأدباء الرابطة وإن نبذوا التعصب دينيا وعربيا . إلا انهم لم يفلتوا من شرك التعصب للوطن والحنين إليه .

أما الجنوبيون : فتصطبغ نفثاتهم وأشواقهم البعيدة النائية المهاجرة بالحماسة القومية والعصبية العربية .

ويقول الدكتور " خدورى " ممثل نادى القلم العراقى من مقال له :

« أما الشعراء والكتاب فأرواحهم دوما فى البلدان العربية وأجسادهم فقط فى المهجر ، وهم يتتبعون بدقة زائدة تطور القضية العربية ، وينظمون الشعر ويتلون الخطب الحماسية خدمة للبلاد العربية ومنهم الأمير أرسلان بجريدته " الاستقلال " . والسيد موسى يوسف عزيزه بجرائده القومية والأسبوعية .

والدكتور جورج صوايا بمجلته " الإصلاح " والسيد موسى كريم بمجلته " الشرق " والشاعر إلياس قنصل بمجلته " المناهل " .

وعلى هذا الأساس نجد الجالية العربية فى أميركا الجنوبية تشعر وتتحسس بما يشعر ويتحسس به العرب فى كافة البلاد العربية (١) .

والفرق بين الطابعين الشمالى والجنوبى فى هذا الاتجاه يرجع إلى اختلاف البيئة "

(١) أنيس المقدسى : الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ص ٢٨٢ .

فالمهاجرون وجدوا أنفسهم فى الجنوب بين أقوام لايفوقونهم رقيا وعزما فكان ذلك من أسباب بروزهم كعنصر يفاخر بماضيه وأتيه .

ولم يتيسر لهم ذلك فى الشمال حيث هالتهم الحضارة الأميريكية بنظامها وتفوقها المادى . فدفعتهم برغم اكبارهم لها إلى التنديد بالمادية والتفاخر بروحانية الشرق " .

ومن أبرز الشعراء دفاعا عن القومية العربية وإيمانا بتاريخ العرب الحافل بالأمجاد الشاعران : رشيد سليم الخورى " القروى " وأبو الفضل الوليد ، وغيرهما من أدباء الجنوب ومثل چورچ صيدح ، وإلياس فرحات ومحبوب الشرتونى ، ونصر سمعان .

فإلياس فرحات : يهاجم " عقل الجر " حينما أسس ناديا أدبياً أسماه النادى الفينيقى خوفا منه على ضياع الشعور بالقومية العربية .. يقول :

قـــوم لقـــد أنكـــروا جهـــلا أرومتهـــم ... مستمسكـــين بقـــومم مالـهـــم أثـــــر
لـــولا التعصـب كانـــوا كلهـــم عـــربا ... فلتهنـــأ العُـــرْب لم يعلـــق بهـا الوضـــر
هـــذا " التفينـــق " للتفـــريق أوجـــده ... عـــات يبغضـــه بالـــوحـدة الحـــذر
وكيـــف لايحـــذر الباغى إذا اجتمعـت ... تحـــت البيـارق بدو العرب والحضـــر (١)

ويتعلق محبوب الشرتونى بعروبته – ويفسر هذا التعلق والحب بأنه حق الجوار والرحم ولايصدفه عن هذا الحب بخل الأحبة ، ولابدواتهم – فهو الحب الخالى النقى هل بعد ذلك حب ؟ وهو يصوغ مشاعره فى حوار شعبى جميل يتفق مع جو التجربة التى يدافع فيها عن قوميته :

قـــالـــوا تحـــب العـرب قلت أحبهـــم ... يقضـــى الجـــوار علـــىّ والأرحـــامُ
قالـــوا : لقـــد بخلـــوا عليك أجبتهـــم ... أهلـــى وإن ضنـــوا علـــىّ كـــرامُ
قالـــوا : البـــداوة قلت : أطيب عنصـــر ... صفـــت القـــلوب هنـــاك والأجْســـامُ

وبعض الشعراء ينتهز المناسبات الدينية ليعبر عن مشاعره القومية : " فنصر سمعان " ينتهز مناسبة مولد النبى الكريم ليجسد آلام العروبة ويصف واقعها – ويناجى الرسول عليه السلام ويطلب منه العودة لجمع شتات العرب .. ونراه يقول :

---

(١) د/ نظمى عبد البديع / أدب المهجريين بين أصالة الشرق وفكر الغرب .

بـزغـت فحيّـت الجـوزاء مَهْـدَك ... وأعلت فـوق مجـد الشمـس مجْـدَك
وكـل فـم لـه الفصحـى لسـان ... يـردد عنـد حمـد اللـه حمـدك
نبـي قـريش - إنّ قـريش ولـت ... وولـت أشـرف النـزعات بعـدك
فـلا عـمـر تـراه ولا عـلـيٌّ ... يقـود إلـى مراقـي العـز جندك
وغـاية ماتـرى أشتـات شعـب ... تـردّى فـوق بـرد الحيـف بـردك
فقـم إن العـروبة رهـن ضيـم ... أطـال وصالـه وأطلـت صـدُّكْ (١)

- وعروبة الشاعر قادته إلى هذا التسامح الديني ولكنه حاد عن الصواب في مخاطبة الرسول عليه السلام . فالتعبير بنبي قريش ، بعيد عن الصواب لأن محمدا أرسل للناس كافة وليس لقريش فقط .

- وقوله " وأطلت صدك تعبير غير مناسب - لأن الذين أطالوا صدهم عن تعاليم النبي عليه السلام هم المسلمون المقصرون وغيرهم من الذين لم يعتنقوا دين الإسلام . وجورج صيدح " في مقام حديثه عن النبي الكريم يقولم ممجدا الوثبة العربية التي كونت الحضارة العظمى :

زهـت العـروبـة وابْتَنـتْ ... للمجـد مالـم يـبن بـانْ
والـعـرب أخـلاق تثـور ... علـى الضـلالة والهـوان
فتحـوا البـلاد فـذمـة ... تـقضـي وأوراح تصـان
يـوفـون بالنـذر الـذي ... أعطـى الكتـاب لـه الضمـان
وضعـوا النـدى والسيـف فـي ... وضعيهمـا خلـف البيـان

والقروى : إيمانه بالعروبة لايتزعزع ، ويبلغ تعصبه لها مدى غير محدود . وشعره القومي : شاهد إثبات على ذلك وكذلك كتاباته واعترافاته وهو في عقيدته القومية لايتنكر للمبادىء التي جعلت من العرب سادة العالم . وهذه المبادىء قد سبقت الاشتراكية التي ينادى بها العصر الحديث ولكن أصحاب الدعوة إليها أخفقوا في تطبيقها .

فالعدل والإخاء والمساواة مبادىء عليا نادى بها الدين الإسلامي الذي هو سر عظمة العرب وتفوقهم : يقول :

« قبل الثورة الفرنسية وقبل شريعة تحرير العبيد الإسمية في أميركا بأكثر من ألف سنة

(١) د/ نظمي عبد البديع / أدب المهجريين أصالة الشرق وفكر الغرب .

جهر شارعنا العربى الأعظم بمبدأ الحرية والإخاء المساواة . فجعل فك الرقاب كفارة عن الذنوب وزلفى إلى الله وقال فى حديثه : الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره » (١) .

وهو يعبر عن رأيه فى العروبة بدافع من نزعته القومية فيقول :

" العروبة روح حاتم ومعن والسموأل فى سلوك كل نبيل عربى ، وروح عنترة وطرفة وأمرىء القيس والأخطل والمتنبىء فى خيال كل شاعر عربى وروح خالد وأسامة وطارق وصلاح الدين ويوسف العظمة على سيف كل جندى عربى وروح على وأبى بكر وعمر على قلب كل متسلط عربى ، العروبة أن يشعر اللبنانى أن له زحلة فى الطائف والعراقى أن له فراتا فى النيل العروبة دم ذكى يجرى فى عروق جسد واحد . أعضاؤه الأقطار العربية وكل مايعوق دورة هذا الدم يعرض الجسد كله للأخطار " (٢)

وقد جعل القروى شعار الجزء الأول من ديوانه هذين البيتين :

إنـــى علـــى ديـــن العـــروبة واقـــف ... قلبـــى علـــى سبحـــاتها ولســـانى
إنجيلـــى الحـــب المقيـــم لأهلهـــا ... والـــذود عـــن حـــرماتها فرقـــانى

وصدّر ديوانه بأبيات تنبىء عن معتقده القوى الخالص وإيمانه بأن الإسلام هو صاحب الفضل الأول فى النهضة العربية الرائدة فيقول :

عـــش للعـــروبـــة هـــاتفـــا ... بحيـــاتهـــا وبوامهـــا
وأمـــدد يمـــين الحـــب يـــا ... لبنـــانهـــا لشـــآمهـــا
أنـظـــر إلـــى أثـارهـــا ... تنبئـــك عـــن أيـــامهـــا
هـــذا التـــراث يمـــت معظمـــه ... إلـــى إســـلامهـــا

وقمت بإحصاء عددى لقصائد ديوانه المكون من جزأين والذى يضم معظم نتاجه ويتكون من الأقسام التالية :

---

(١) القروى : مقدمة الديوان ص ٤١ – ٤٢ .
(٢) المصدر السابق ص ٤٠ – ٤١ .

١ - البواكير .
٢ - الأعاصير .
٣ - الزمازم .
٤ - المحافل والمجالس .
٥ - زوايا الشباب .
٦ - الموجات القصيرة .
٧ - الأزاهير .

والديوان به ٤٥٦ أربعمائة وست وخمسون قصيدة .

والقصائد القومية التى تعبر عن إيمانه بالقومية العربية أوتهجمه على المستعمرين أو الحكام الظالمين ١٢٦ مائة وست وعشرن قصيدة فالاتجاه القومى يحتل ٢٥ ٪ خمسا وعشرين فى المائة من مجموع نتاجه تقريبا .

ومن الواضح أنها على قلتها تفوق غيرها لدى الشعراء الآخرين .

والباحث فى ديوانه يرى أمثال هذه القصائد (١)

- بين حكومة - كفى يكفى - الداء العياء - ياأمة الشرق
- الحرب - الأوربيون - هذا حدادك - سيد وخواجا
- وهل أنسى - لعينيك يالبنان - أقحوانة ابرنجا - تذكرت أوطانى
- أبطال لبنان - أحبابنا - سيد اتناوساداتنا - أمام العلم .
- تلك القرى - عيد المسافر - السورى التائه - وقفة على الشاطىء
- تلك المشاهد - خيال سوريا - الوطن البعيد - رسم
- طيور البحر - الهاشمية - يانافيا - تحية الأندلس

(١) أنظر الصفحات التالية على التوالى فى الجزء الأول من الديوان ، ٦١ - ٦٤ - ٧٢ - ٩١ - ١٠٥ - ١٣٢ - ١٤٧ - ١٥٠ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٥٨ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٦٧ - ١٧٠ - ١٧٤ - ١٧٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩٨ - ٢٠٣ - ٢١٠ - ٢٣٣ - ٢٣٨ - ٢٠٨ - ٢٤٣ - ٢٥٢ - ٢٩١ - ٣٠٥ - ٣٠٨ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٥ - ٣١٩ - ٣٢١ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٣٠ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٢ - ٣٤٤ - ٣٤٨ - ٣٥٠ - ٣٥٣ - ٣٥٥ - ٣٥٨.

- سلطن الأطرش والتنك	- عيد الأضحى	- الرجاء الوطن	- الاستقلال حق لاهبة
- هذيان شاعر	- عيد استقلال لبنان	- الشهداء	- لبنان وثورة حوران
- صيحة للجهاد	- وعد بلفور	- قحط الرجال	- نكبة الشام
- سقوط أورشليم وأريحا	- الحق لايتجنس	- مأس لايراع	- بطل الصحراء .
	- عيد الفطر	- شبول الأرز	

والجزء الثاني كذلك حافل بالقصائد العديدة .

فالزمازم أغلبها شعر حماسي قومي والتسمية توحي بمضمون ماوراءها .

ولم يترك الشاعر مناسبة قومية إلا وشارك فيها بأحاسيسة الصادقة الملتهبة فهو يناصر الثورات على المستعمر وعلى الأتراك في العالم العربي كله .

وهو يندد بوعد بلفور ، ويندد باليهود الذين اغتصبوا فلسطين . وقصيدته ، وعد بلفور تبلغ سبعين بيتا ، وفيها يتميز قلبه من الغيظ وتشتعل نفسه حماسة لإنقاذ الوطن السليب فيقول :

الحق منك ومن وعودك أكْبَرُ ... فأحسب حساب الحق يامتجبر
تعد الوعود وتقتضي إنجازها ... مهج العباد ، خسئت يامستعمر
عد من تشاء بما تشاء فإنما ... دعواك خاسرة ووعدك أخسر
فلقد نفوز ونحن أضعف أمة ... وتؤوب مغلوبا وأنت الأقدر

وينظر القروي إلى المستقبل ويصف واقع اليهود وصفا دقيقا فيقول لامسا بؤرة الجرح وكاشفا اللثام عن أطماع اليهود :

أمنيَّة الدنيا السلام وإنما ... تحقيقها فرض على من يقدر
هيهات والتسليح أكبر همكم ... والوحش خلف جلودكم متنكر
ماروض التسماح صقل أديمه ... مهما تمدنتم فأنتم بَرْبَرُ (١)

(١) القروي : ديوانه جـ١ ص ٣٢٠ - ٣٢٤ .

وآمن أبو الفضل الوليد بالعروبة إيمانا راسخا وآمن بالإسلام دينا عالميا تسوده روح التسامح والمحبة والإخاء

وتفرد أبو الفضل الوليد بميزة جعلته ذا شخصية مستقلة هى :

إيمانه بالإسلام عن يقين خالص وتركه للمسيحية ودفاعه عن أمجاد الإسلام دفاع المحب الغيور والمامه بتاريخ المسلمين العرب إلماما وصل إلى درجة النوبان والفناء فيه .

وآمن بالقومية العربية ودافع عن مقوماتها ووضحها فى ثنايا أشعاره وساندته إلى جانب معتقده الإسلامى العربى ثقافة عربية أصيلة دفعته إلى الغيرة على كل ماهو عربى ، وإلى البحث فى أصول اللغة العربية وإبراز عناصر الجمال فيها ، وإظهار ماكمن من كنوزها الدفينة.

- وشعر أبى الفضل الوليد القومى والإسلامى يأخذ طابع المطولات فهو يكتب قصيدة " تائية " يجارى فيها تائية ابن الفارض " نظم السلوك " وتبلغ ثلثمائة بيت : ويبدؤها بالرؤية النبوية ويقول :

أعاهد ربى أن أصلى مسلما ... على أحمد المختار من خير أمة
هدانى هواها ثم حبب شرعه ... إلى فَصِحْتُ مثل حبى عقيدتى
فمن قومه قومى أدين بدينه ... لأنى أرى الإسلام روح العروبة
توسلت بالقربى إليه فلم تضع ... لدى العربى الهاشمى شفاعتى

وفى هذه الرؤيا النبوية تتوالى النصائح على فم الرسول العربى يبلغها أبو الفضل الوليد وهى نصائح فى مجموعها توضح رأى أبى الفضل فى إصلاح أمة العرب وإنقاذها من فترات الضياع . ويقول :

فلا مؤمن إلا الذى هو معرب ... وهذا كتاب الله بالعربية
لقد حان أن يستعربوا ويعربوا ... بنيهم وأهليهم لإتمام وحدة

وتكشف هذه المبالغة وهى أن الإيمان لايصح إلا من العربى عن التعصب الصادق الذى يتمسك به أبو الفضل فى إظهار حبه للعروبة وبنيها ودينها .

ولا أنكر أن الشاعر مخطىء فى منطقه فالإسلام دين شامل للإنسانية كلها . وأتجاهه القومى يرتكز على عدة أسس تدور حول عدة محاور وهى :

(أ) وضع دستور شامل لإصلاح الأمة :

وفى ذلك الدستور سجل تعود إليه الأمة العربية إذا ماأرادت الإيمان بالوصية التى يبلغها إياها أبو الفضل الوليد أو أرادت أن يكون لها المحل اللائق بين الأمم .

فمن نظام أخلاقى ودينى إلى نظام حزبى وإجتماعى واقتصادى وفى كل ذلك بناء للدولة إذا شاءت أن تستكمل عدتها فى مسيرة الحياة . (١)

(ب) استلهام التاريخ واستنطاقه لاستكشاف طريق المستقبل :

وشعوره القومى العربى والإسلامى يدفعه إلى تلمس أسباب الإصلاح الإجتماعى ومعالجة جراح هذه الأمة باستلهام تاريخها الحافل بالأمجاد العظام والتنويه بدور المرأة العربية المسلمة والفتى العربى المسلم فى صنع الحضارة العريقة وحثهم على استئناف ذلك الدور الرائد وفى ذلك اتساع أفق لدى الشاعر وخاصة فى الفترة التى عبر فيها عن رأيه وهو يمزج مشاعره القومية بأحاسيسه التأمليّة التى يتصور من خلالها الأمة العربية وقد عاد إليها مجدها فيقول :

وما عربية هذا الزمان ... كتلك التى ربيت فى الخيام
تحمس جيشا وتنشد شعرا ... وتعلو الجواد وتجلو الحسام
وأفضل من هؤلاء البنين ... عظام الجدود الغزاة العظام
فأين الإباء ؟ وأين السخاء ... وأين الوفاء ؟ وأين الزمام

وقصيدته " المغربية " بلغت ١٢٠ مائة وعشرين بيتا .

---

(١) جورج غريب : أبو الفضل الوليد : شاعر الحمراء ص ٥١ .

وفيها يصافح الأمجاد العربية وهى التى حلت محل الأمجاد الفارسية والرومانية ويستحث أهل تونس والجزائر ، ومراكش ، ومصر ، ويذكرهم أن الإسلام أصبح ممزقا وهذا يؤلمه ويستثير حميته . ومصر هى قبلة العالم الإسلام بحضارتها وأزهرها .

(جـ) الدعوة إلى النضال ضد الاستعمار :

وهذه الدعوة تتجسد بصورة مكثفة فى قصيدته : " الشرقية " التى تجاوز مائة بيت وفيها يتحدى الأعداء ويكشف زيف مبادئهم التى تشبه جسم الأفعى . تحمل نعومتها الفتك بلامسها . ولايميل إلى مهادنة المستعمرين أو التصالح والتعايش معهم فيقول :

فإن الموت فى شرف وعز ... أحب من الحياة إلى الأبىّ
سيوف الشرق ماضية ظباها ... وأمضاه شباة محمدىّ

(د) فلسطين :

وفى قصيدته " المقدسية " يتضح وعى الشاعر المبكر بالقضايا المصيرية وخاصة قضية فلسطين فيقول مخاطبا القدس :

أنت العظيمة فوق الرمل نائمة ... أنت الكريمة فى أيام بؤساك
هل تستقر جماهير اليهود إذا ... دعوت يوما أبا حفص فلباك
وافاك فى ليلة المعراج سيدنا ... محمد وكتاب الله سماك
إن السيوف على الأغماد حاقدة ... لأنها لم تجرد فى رزاياك
أحينما عمر صلى وحيث بنى ... بنو أمية للتقوى مصلاك
يمشى الأجانب فى غوغائهم مرحا ... ولا سكون لمن شاقته سكناك

ولايكفى أبو الوليد بالندم والبكاء أمام أطلال الذكريات فى القدس وإنما تبدو رؤيته السياسية ناضجة ويبدو وعيه دقيقا حينما يدرك أن عهد البكاء قد ولىّ ، وأن عهد الصبر لايجدى ، فالقوة تفرض إرادتها ، ولاقوة بغير وحدة تدك عرش التخاذل وتزلزل جدار الاستسلام والتفرقة .

(هـ) الوحدة العربية ضرورة حتمية لبناء حضارة المستقبل : -

ومن منطلق إيمان أبى الفضل الوليد بلغة القوة لتأكيد الشخصية العربية والذات المستقلة يدعو إلى الوحدة الشاملة لأنها الطريق المعبد بالمشاعر والآلام والآمال والدم إلى القوة الذاتية التى تمنح صاحبها العزة والاستقلال فيقول :

كم خارج من عهود العرب يشتمنى ... ولم أكن قط شتاما وسبابا
ماالشام أفضل عندى من طرابلس ... فهذه القدس يلقى قابها القابا
والتونسى أو المصرى فى نظرى ... مثل الشآمى إعزازا وإحسابا

- ومن مطولاته التى تعالج قضايا الوحدة العربية قصائدة " المكية " والأموية ، والشامية والدمشقية ، والشهادية ، والجهادية ، والبغدادية ، والأندلسية ، والصحابية ، والصبابية ، والعسكرية ، والباريسية ، ويعبر عن مدى حبه لوطنه العربى فيقول :

إنى أموت كما عشت عربيا ، وأود أن تضم جسمانى تربة دمشق الطيبة ، وهناك تهيم روحى فى البادية ، وتنشق نفحاتها الطاهرة ، وتطرب لهدير الوادى ، تلك رقدة اشتهيها وأعلل بها نفسى وأراها خير مكافأة لى إذا كنت مستحقاً " (١) .

ويكاد يكون الوليد أكثر شعراء المهجر دعوة إلى الوحدة العربية وكان فى طليعة من تغنوا بهذا الأمل الحبيب .

فقد عبر من مهجره القصى عن استبشاره باستعادة عهد المأمون والرشيد اثر نشوب الثورة العربية إبان الحرب العالمية الأولى فقال فى قصيدته " الدولة العربية " :

الله أكبر عادت دولة العرب ... بشرى لهارون والمأمون فى التـرب
دمشق حنت إلى بغداد واضطربت ... مصر التى هى دار العلم والطرب
على الثلاثة شاد العرب دَوْلتهم ... ياحبذا دولة الأسياف والكتب (٢)

---

(١) انظر كتاب : جورج غريب : أبو الفضل الوليد .
(٢) انظر كتاب : " على الجمبلاطى " شاعر العروبة فى المهجر أبو الفضل الوليد .

الاتجاه الاجتماعى

إذا كان التأمل هو أخص خصائص الأدب المهجرى فإن هذا الأدب فى مسيرته الحافلة بالإبداع تطور ولم يفقد النبض الاجتماعى الحاد الذى يبحث عن حلول جذرية لمشكلات المجتمع بعيدة عن التعقيد الفلسفى أو العمق التأملى أو التجريد والتهويم والخيال . كل ذلك بأسلوب قريب إلى اللغة المتداولة مما يجعل الكاتب قريبا من أصحاب المشاكل التى يعالجها ورفاق الطريق إلى غد أفضل .

ولم يبعد أدب الرابطة القلمية عن المجتمع والغوص فى مشاكله ومحاولة الوصول إلى حل ملائم يسعد الإنسان ويقيه شر الموبقات أيا كانت وفى مقدمتها الجهل والفقر والمرض .

والاتجاه الاجتماعى قد يتحول عند بعضهم إلى دعوة الاشتراكية تمزج فيها النقمة على أرباب المال والأعمال بالعطف على الفقراء من العمال " (١) وقد يكون الشعور الاجتماعى ممزوجا بالتأمل الفكرى أو الخيال الشعرى الملحق .

(١) وهذا مانجده فى معظم كتابات جبران وهى تصف الواقع المر الذى تعانيه شرائح المجتمع على تنوع عذاباتها وطموحاتها . وجاءت أعماله بكائيات حالمة أو عواصف منذرة ، أوخيالات متمردة على قوانين الأرض ومعتقدات الإنسان أو تشريعات وقوانين يسنها ويعتقد أنها تصلح فساد الإنسان .

فقصته " الأجنحة المتكسرة " تقوم فكرتها على رفض التسلط الاجتماعى وتقييد حرية الفتاة وتهاجم نفوذ رجال الدين المسيحى الذى يقف ضد رغبة : سلمى ، وجبران ، فى الاقتران ببعضهما طمعا فى زيادة ثروته ، ويحلل جبران هذه الظاهرة حينما يقول : (٢)

« ماطلب المطران بولس غالب مقابلة فارس كرامة فى تلك الليلة المقمرة ليفاوضه بشؤون الفقراء والمعوزين أو يخابره بأمور الأرامل والأيتام ، بل أحضره بمركبته الخصوصية الفخمة ليطلب منه ابنته سلمى عروسا لابن أخيه منصور بك غالب .

كان فارس كرامة رجلا غنيا ولم يكن له وريث سوى ابنته سلمى ، وقد اختارها المطران زوجة لابن أخيه لا لجمال وجهها ، ونبالة روحها ، بل لأنها غنية موسرة تكفل بأموالها الطائلة

(١) أنيس المقدسى : الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث ص ٢٨٢ .
(٢) الأجنحة المتكسرة ص ٢٦ جبران .

مستقبل منصور بك وتساعده بأملاكها الوسيعة على إيجاد مقام رفيع بين الخاصة والأشراف».

وعندما ماتت سلمى كرامة هى وطفلها – يصور جبران مشاعر الواقفين وهمساتهم فى ساعة الدفن :

ولما أنزلوا التابوت إلى أعماق الحفرة همس أحد الواقفين قائلاً : " هذه أول مرة رأيت جسدين يضمهما تابوت واحد ، وقال آخر : " كأن طفلها قد جاء ليأخذها وينقذها من مظالم زوجها وقساوته " وقال آخر : " تأملوا بوجه منصور بك . فهو ينظر إلى الفضاء بعينين زجاجيتين كأنه لم يفقد زوجته وطفله فى يوم واحد " .

وقال آخر : غدا يزوجه عمه المطران ثانية من امرأة أخرى أوفر ثروة وأقوى جسما " (١).

وفى كتاب " النبى " يعطى جبران تصورا للمجتمع الذى يريده ويحدد رأيه فى البيع والشراء والزواج ، والتعليم ، والصداقة ، وغيرها من أمور المجتمع .

وفى حديقة النبى يتحدث جبران ويبين مساوىء الأمة التى أدت بها إلى التخلف فيقول : « ما أولاكم أن ترثوا لأمة لاترفع صوتها إلا حين تشيع ميتا ، ولا تتفاخر إلا بالأطلال ، ولاتثور إلا عندما ترى رقابها بين السيف والنطع ؟!. وما أولاكم أن ترثوا لأمة تستقبل حاكمها الجديد بالطبل والزمر ، وتشيعه بالنكير والصفير ، لتعود فتستقبل الخلف بما استقبلت به السلف ، ثم ماأولاكم أن ترثوا لأمة تفرقت أحزابا ، وظن كل حزب أنه أمة وحده » (٢)

والتناقض الاجتماعى يثير جبران ، فالسجن للضعاف ، وإن كبروا فلهم المجد والفخر . والعدل ضائع والجن يبكى لضياعه والأموات يضحكون من تصرفات الأحياء إن بعثوا من رقادهم .

يقول : "

والعدل فى الأرض يبكى الجن لو سمعوا ... به ويستضحك الأموات لو نظروا
فالسجن والموت للجانين إن صغروا ... والمجد والفخر والإثراء إن كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر ... وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر
وقاتل الجسم مقتول بفعلته ... وقاتل الروح لاتدرى به البشر (٣)

---

(١) الأجنحة المتكسرة ص ٦٤ جبران .
(٢) حديقة النبى ص ٦٢ .
(٣) عرائس المروج ص ٢٦ . جبران .

والألفاظ هنا تتناسق مع جو التجربة التى سيطرت على الشاعر – فهو فى صراع مع التناقض الاجتماعى فالألفاظ هنا تتقابل فالبكاء والضحك ، والسجن والمجد ، والصغر والكبر ، والذم والاحتقار ، والبسالة والخطورة ، وقتل الجسم وقتل الروح ... كلها مقابلات تتناسق مع الجو الذى أراد الشاعر رسمه فى عناية وحس مرهف مهموم متشوق لعدالة نقية تعيد للإنسان البهجة والحياة .

وفى قصة " يوحنا المجنون " يعبر عن إيمانه بالعمل الشريف ، ويدين الرهبان الذين سرقوا مواشى يوحنا واتهموه بالإجرام لأن مواشيه قد أكلت من مزارع الدير .. فيصرخ فيهم يوحنا : " هكذا تتلاعبون بتعاليم هذا الكتاب أيها المراؤون ، هكذا تستخدمون أقدس ما فى الحياة لتعميم شرور الحياة " (١)

– وفى مسرحية الآباء والبنون لميخائيل نعيمة :

يصف إلياس أمه قائلاً فى غضب :

« أمى إنها امرأة عنيدة لاتطيق أن يعاندها أحد فى شىء وأولادها على الأخص فهى تطلب منا طاعة عمياء » (٢) .

والخلاف حول موضوع تقليدى هو زواج " زينة أخت الياس من ابن موسى العركوش . فالتقاليد تقول : إنه رجل ثرى . من عائلة محترمة ، والعركوش وابنه يحملان لقب بك .

وكل المواصفات السابقة عند أم الياس كفيلة بتحقيق السعادة لابنتها . ولاتعطى للعوامل الأخرى أهمية كفارق السن أو السلوك الشخصى للإنسان أو السلوك الاجتماعى أو التفاهم الروحى بين الشخصين ..... إلخ .

وزينة هى التجربة التى ظهر فيها انتصار نعيمة للتيار الجديد فى التفكير فقد استطاع داود أن يؤثر فيها بأفكاره الجديدة ، فتجرأت ورفضت ابن العركوش ، بل وذهبت إلى داود فى بيته . بعد صراع بين أم الياس وأبنها وصديقه داود .

ويبرز نعيمه معتقده فى الحرية الدينية ويرى أنها حق اجتماعى وذلك من خلال الحوار بين ام الياس المتعصبة لمسيحيتها وبين داود الذى ينبذ التعصب

(١) جبران : عرائس المروج ص ٣٤ .

(٢) م – نعيمة : الآباء والبنون ص ٣٦ .

" إم الياس : وين بتصلى بكنيسة الروم ، يما الموارنى يما البستريد : البروتستانت " يما الجامع ،

داود : أصلى فى قلبى يا خالتى لا فى كنيسة الروم ولا الموارنة ولا البروتستانت ولا فى الجامع " (١) والحرية الدينية ليست مطلقة وإنما لابد من شعائر تترجم معتقد الإنسان وإلا مافائدة التعاليم الدينية ؟

وفى المشهد الثالث يبرز نعيمة حقيقة هامة وهى :

أن التغيير الاجتماعى يحتاج إلى صراع حاد حتى فى داخل البيت بين أفراد الأسرة وذلك فى الحوار الآتى بين إلياس الحائر القلق وبين داود الذى استقر على طريق التغيير

إلياس داود : لو شئت أن أمتثل لإرشادك لتحول هذا البيت إلى ساحة حرب

داود : وأى بأس فى ذلك ؟ أليست الحياة كلها حربا ؟

إلياس : أأحارب أمى ، ؟

داود : بل حارب مافيها من ضلال بما فيك من حق (٢) .

وفى الفصل الثانى : يبرز فلسفته الاجتماعية وهى التفاؤل .

وهو خط انتهجه نعيمة فى حياته وإن كانت كتاباته وأشعاره تقول غير ذلك لأنه يأخذ الحياة مأخذ الجد ويفلسف كل شىء .

وشهيدة أخت داود هى العقلية المتفائلة التى تأخذ الأمور بيسر وسهولة وتفلسف المواقف لحسابها . وتحاول إقناع الياس بهذا المنهج قائلة له :

« أما أنا فأتقبل علقمها بالشكر طمعا بشهدها » (٣)

ويبرز نعيمة حقيقةً يؤمن بها الجيل الجديد وهى أن المعرفة مجال الفخر والإعجاب وليس المال ولا النسب المزيف .

---

(١) م – نعيمة : الآباء والبنون ص ٣٢ .
(٢) م – نعيمة : الآباء والبنون ص ٣٢ .
(٣) السابق ص ٥٤ .

ويجسد نعيمة الحقيقة السابقة على لسان زينة التى أحبت داود لمعرفته واتجاهاته الفكرية فتقول له :

« كرهت ابن العركوش كرها لاكره فوقه ، وأحببتك حبا لاأدرى إذا عرف مثله أحد قبلى . لكننـى لم أجسر أن أعترف به حتى أمام نفسى نظرت إلى الهوة بينى وبينك ، لاهوة المال والنسب . بل هوة الإدراك والمعرفة » (١)

وينهى نعيمة مسرحيته بانتصاره للعقلية الجديدة . فموسى العركوش الذى كان كثير التهجم على الجيل الجديد (٢) ظهر زيفه وخبثه وعرفوا أنه مدين بأمواله كلها . ولم يستطع أن يسعد ابنه على حساب الآخرين طمعا فى مالهم .

لأن المال فى نظر العقلية التقليدية له قيمة لاتقدر فموسى يقول لابنه :

" لايعيـش اليـــوم يابنى إلا الغنى ، يابنى المال كل شىء . ضع هذا نصب عينيك دائما " (٣) .

وتبارك أم الياس بعد تحولها وإيمانها بالتيار الجديد زواج زينة من داود ، وتبارك زواج شهيدة من الياس .

وينتصر الصدق على الخداع ، والتفكير والعلم على التسلق والانتهازية وبهذا الانتصار يعطى نعيمة حق البقاء للشرائح الاجتماعية السليمة الخالية من الأوبئة التى تفتك بالمجتمعات ويبارك القيم الخيرة القائمة على أسس صحيحة عادلة صادقة .

وفى مسرحية " الورقة الأخيرة " (٤) يصورنعيمة التقاء الجيلين . وكأن هذا الصراع لايستمر بل تأتى ساعات يتوافق فيها الحزبان وذلك عندما تتسامى الأهداف وتتُبل الأغراض ، وتتسع آفاق التفكير .

فسميرة : صورة للجيل الجديد . تزن الأمور بمشاعرها الإنسانية . وتعترض على ضياع الوقت فى اللعب وإهدار العقل والمال فى سبيل لذة الكأس والطاس ..

---

(١) السابق ص ٧٢ .
(٢) انظر الحوار بينه وبين أم الياس ص ٩١ .
(٣) الآباء والبنون ص ١٠١ .
(٤) انظر مسرحية : الورقة الأخيرة فى كتاب " أبو بطة " ص ١٨٢ – ٢٠١ .

فيقول الجد لها : جميل منك يا ابنتى أن تفكرى تفكير الشيوخ . وليس جميلا وأنت فى ريق الشباب أن لاتتمتعى بلذات الشباب . العبى وغنى واطربى يابنيتى . وافرحى مع الناس بالعام الجديد " فترد سميرة بصوت إنسانى وشعور شفاف واع يحمل بنور الاشتراكية التى طالما اشتاق نعيمة إلى تطبيقها لإسعاد المجتمع ورخائه :

" لاكان عام جديد ، لايحمل الشبع للجائع ، والرى للظمآن ، والدفء للمقرور ، والعدل للمظلوم ، والبلسم للجريح ، والحرية للسجين ، والبصر للكفيف .

وفى القصص القصيرة : -

يظهر اتجاه نعيمة الاجتماعى بصورة واضحة ويكاد ينافس نزعته الفلسفية وأعتقد أن الكاتب جنح إلى تلمس مشاكل المجتمع بعقلية متفتحة واعية تقف على طريق الإدراك لأسرار الأحزان التى تغلف حياة الناس .

ولم تسيطر نزعة الحزن عليه فى أسلوبه بل جنح إلى الأسلوب الساخر الذى يجعل من القصة فكاهة طريفة وإن كان موضوعها هو قمة الحزن والتعقيد .

واختار شخصياته من واقع الشعب اللبنانى على اختلاف طبقاته وتعدد أصنافه ووظائفه

-١-

فهو يشعر بما يعانيه قطاع العمال والفلاحين ويتعاطف معه . ولاشك أن شعوره هذا ناشىء من ميله الفطرى واطلاعه على الثقافات الاشتراكية واعتناقه مبادىء المساواة والعدل والإخاء . وتأثره بالأدباء الروس ذوى النزعة الاشتراكية . التى تنشد حلماً يبدو مستحيلاً .. والواقع الاجتماعى يظل ملوّنا بصبغة الصراع والخوف من الغد ... ومن المصير المجهول ...

- وقصته " ثائران " (١) توضح هذا الخط الاشتراكى الثائر . حيث التقت ثريا بفؤاد وجمع بينهما حب القضاء على صراصير المجتمع والانتهازيين والإقطاعيين ، وتركت ثريا خطيبها " فريد صرصور " الذى سرق منه فؤاد : السوار الذهبى " بالقوة وفى ذلك إيمان بأن القضاء على الطبقات المتعالية التى لاتشعر بالمعاناة لايحتاج إلى المهادنة .

ولكن لابد من القوة حتى وإن كانت اغتصابا وسلبا فهذه هى الوسيلة للقضاء على

(١) انظر القصة بكتابه " أبو بطة " ص ١٠٦ - ١١١ .

الشرائح الخارجة على نضال المجتمع وكفاحة كما توعدت ثريا وصرخت : « بل ستبتلع الأرض الصراصير » .

" وفى قصته " أكابر " (١) امتداد لهذا الخط حيث يتجسد الإحساس بالثورة على النظام الطبقى والظلم الاجتماعى من خلال إظهار سلبيات أصحاب الأرض الذين لايشفقون ولا يضمدون جراح الفلاحين البسطاء ويخففون همومهم .

وفى قصته " هدية " يعانى هموم العمال ويقف على سر مأساتهم ، ويصور مدى معاناتهم فى كسب لقمة العيش . ويصور بساطة نفوسهم وطيبة قلوبهم وتوقهم إلى السعادة ، وأداء علمهم على خير وجه كل ذلك بأسلوب بسيط وتمكن من معرفة المشاكل التى يمر بها هذا القطاع الشعبى الذى يشيد على كتفيه حضارة الإنسان .

وشخصية " مسعود " رمز للمعانى السابقة ، وهديته لزوجته " المرآة " اختيار مناسب ففى المرآه يرى نفسه وملامحه وما تحدثه الأيام فى وجهه وكيانه من آثار الكد المتواصل وفى المرآة يرى زوجته حقيقة وخيالا فتزول آثار الإجهاد وشقاء الأيام .

ويلمس نعيمة سر القلق المتجدد الذى يحرق أعصاب الطوائف المطحونة وهم معذبون حائرون بين دخلهم القليل ومتطلبات العيش المرهقة ، وعدم استطاعتهم التوفيق بين الإثنين . وفى النهاية يفترسهم المرض ولايجدون ثمن الدواء .

ويصور مدى المسافة بين سذاجة مسعود القروى الطيب – وبين خبث المحتال الذى لوثته المدينة وسرق من مسعود " ليراته " ثمن المرآة " فسرق عرقه ودمه وسعادته .

ويستدين مسعود ويشترى المرآة . ولكنها فى النهاية تتكسر فى قمة نشوة مسعود بها لترمز إلى استمرار المعاناة والظلم الواقع على هذا القطاع وإن أمانيه فى السعادة لم تتحقق بعد كما يتصور الكاتب وفى تصوره كثير من الحقيقة .

" وأبو بطة " (٢) صورة من مسعود فهو عامل فقير ، كادح . دون الربع من الرجال والناظر إلى وجهه الشاحب وعينيه الصغيرتين الغائرتين ، وإلى لحيته الكثة التى لاتدنو منها الموسى أكثر من مرة فى الشهر أو مرتين . وفى رجليه القصيرتين الحافيتين .... الخ .

---

(١) انظر القصة بكتابه " أكابر " ص (٧ – ١٧) .

(٢) انظر قصته " أبو بطة " فى كتابه " أبو بطة " ص (٧ – ١٧) .

إلا أن أبا بطة أوثق صلة بنعيمة فهو صديق له جمعت بينهما المصادفة . وهو صورة للشموخ والإباء حتى فى لحظات الضعف الذى فرضته السنون عليه وصورة للجبروت حتى مع ابنه : الجبروت الصادق المؤمن بقيمة العمل وكرامة النفس البشرية .

ومسعود : صورة للانسحاق الإجتماعى

وأبو بطة : صورة للثقة بالنفس التى تبلغ حد الغرور . ولو أدت هذه الثقة إلى الموت .

والفلسفة الاجتماعية لأبى بطة هى فلسفة الشعب الكادح الذى يبذل حياته فى سبيل الحفاظ على كيانه(١) .

والعامل يموت واقفا لايعرف الذل ولا الضعف ، كرامته نظير حياته ، لديه غيرة محمومة على مهنته ، لايقبل أن يمسها أحد فى وجوده ولو كان أبنه .

فأبو بطة يصرخ حينما يرى ابنه يقترب من الصندوق ليحمله .. اغرب من هنا ياكلب مامات أبوك بعد !!!

ولاينسى نعيمة المفارقات المؤلمة فى مثل هذه المواقف حيث يصور لحظة سقوط أبى بطة على الأرض وهو يحمل البرميل وهى لحظة مأساوية ولكنه بسخرية دامية يتهكم على صاحب المصنع ويجسد تبلد إحساس ذوى النزعات الطبقية .

فصاحب العمل لايحزن لمصرع أبى بطة ولكنه يصيح خائفا على أمواله :

" البرميل . البرميل . تداركوا البرميل ألف ليرة " !!!!

والسيدة التى مس البرميل طرف حذائها لاتأسى لمنظر أبى بطة ولكنها تثور مدافعة عن كرامة حذائها وتركل أبا بطة ركلتين صارخة : وحش . وحش .

وفى قصته : " على الله " تأكيد لموقف نعيمة السابق ففيها تعاطف اجتماعى وثورة على الاستغلال ودعوة إلى محاربة من يرون المال سلاحا ضد كل معدوم.

ونعيمة فى هذه القصة قاض عادل . أصدر حكمه على ذلك الإقطاعى الذى رفض أن يعطى المرأة المحتاجة شيئا من ماله . وحمل الفقراء ذنب إفلاسه وتجرأ على الله وقال :

(١) أنظر نصوص هذه الفلسفة فى القصة نفسها ص (٩) .

« ماكان سبحانه يوما تاجر شعير أو مدير بنك »

ولا تأخذ صورة العامل عند نعيمة وجها واحداً أو وجهين . أو لاتتعدى موقف الرثاء . ولكنها تتخطى كل ماسبق لتعطى لنا وجها جديداً . وهو " التكريم الاجتماعى " للعمال ، والعمل هنا بعيد عن العضلات الفولاذية " ولكنه عمل يشترك فيه العقل مع المهارة والدقة . إنه عمل حضارى ، فدور العمال لايقل عن دور المديرين ورؤساء التحرير وهذه المفاهيم يشخصها فى قصته " اليوبيل الألماسى " (١) .

والتكريم جاء فى صورة إقامة حفلة ليعقوب وزوجته فى عيد زواجهما مكافأة له على خدمته خمسين سنة فى الصحيفة بإخلاص ومهارة وتضحية .

وخصصوا عددا من المجلة للتنويه بيعقوب وإخلاصه وإبراز قيمة العمل والعمال .

- ٢ -

ويحارب الفضول الاجتماعى ويدعو إلى عدم اقتحام أسرار الناس ، ويرفض حب الاستطلاع الدائم الذى يزرى بصاحب هذه العادة .

وشخصية " ستوت " (٢) شريحة اجتماعية منبوذة قضى عليها بالهلاك جزاء ماإقترفت فى حق الناس " .

-٣-

ويقترب من نفسية المرأة فى قصته " أم وليست بأم " (٣) ويوضح أن الاحساس بالأمومة فطرة أنثوية خالصة حتى وإن تقدمت بالمرأة السن كما ظهر فى أحساس الخالة " مرشا " بذلك : وهذه حقيقة نفسية اثبتها علم النفس الحديث .

فالفتاة فى سنى عمرها الأولى تتصرف باحساس أمومى فطرى خالص . فعرائسها التى ترتبها أو التى تصنعها وتحملها على صدرها . وكذلك حملها الكتب وإسنادها إلى صدرها فى حنان عفوى ثم تشوقها إلى البيت الذى تستقر فيه وانتظارها حادث الولادة السعيد . كل هذه

(١) أنظر قصة " اليوبيل الألماسى " فى كتابه " أبو بطة " ص ٥٥ - ٦٢ .
(٢) أنظر قصة : مصرع ستوت " فى كتابه "أكابر" ص ١٨ - ٢٩ .
(٣) أنظر القصة : فى كتابة " أكابر " ص ٣٥ - ٤٣ .

الرغائب والتصرفات يبعثها شعور خفى تواق إلى أن تكون الفتاة أما ، وتظل هذه الرغبة متقدة فى داخلها حتى ولوكانت فى سن الخالة مرشا ، التى : تجرى من جانب إلى جانب فى بيتها وإلى صدرها وسادة تضمها بحنان لايوصف ثم تدفعها فى الهواء لتتلقفها بيديها الاثنتين وهى تصيح بأعلى صوتها : ها . ها ! هاى . هاى ! هو – هو . يقبرنى الزغلول . يقبر نى !!! .

– ٤ –

ويحلل نفسية الرجل ويدرك أن الإحساس بالأبوة عند الرجال يقابل الإحساس بالأمومة عند النساء . فهو نداء مشبوب باللهفة يمور فى صدر كل رجل مهما تقدمت به السن .

" **وعدو النساء** " (١) الشاعر الذى لاتغيب النكتة عن بديهته والذى اشتهر بنظم الشعر وعداوته للنساء . بعدما بلغ من العمر ستا وسبعين سنة يستيقظ نداء الأبوة فى أعماقة وذلك فى اللحظة التى يلمح فيها موكب عرس فيتخيل أن العروس ابنته : ويسطر لها خطابا بلغة شعرية حالمة ، ويفيض حنانا ورقة . وينضح بالأسى والشجن " ويقول فيه :

" إن مابان منى للناس يابنيتى هو غير ماكشفته أنت منى لنفسى ..... ومن أنا من بعدك يابنيتى ؟

ست وسبعون سنة ملتفة بعباءة بالية ، وفى زاوية خالية من بيت مقرور ، مظلم ، مهجور .

– ٥ –

وعن العلاقات الأسرية المتنامية وعاطفة الأخوة يتحدث فى قصته " شهيدة الشهد " (٢) .

فخيزران برغم عنفوان أمها وعبادتها للمال وإجبارها ابنتها وابنها على إحضار المال مهما تكبدا من عناد . تموت وتعرض نفسها لأذى النحل وترفض فكرة الانتحار ثم تحمل لأخيها بعضا من عسل النحل حتى يتم شفاؤه " .

---

(١) أنظر قصة عدو النساء " فى كتابه أكابر ص ٦٦ .

(٢) أنظر قصة " شهيدة الشهيد " فى كتابه " أبو بطة ص ٦٣ – ٧٠ " .

- ٦ -

ويعالج العادات والتقاليد الريفية وماتعتقده العجائز ، وتحرص عليه ، وما يفتعلنه فى المناسبات العديدة من سباب وتهم بدافع من الحسد والحقد وسوء الظن والبخل الشديد وكل هذه الأمراض الاجتماعية افرازات خبيثة لأوبئة الجهل وضيق الأفق .

وفى " دجاجة أم يعقوب " (١) يصور الكاتب المثالب السابقة . وأم يعقوب مثال مرفوض لها . ولايفقد نعيمة الأمل فى الإصلاح الاجتماعى والقضاء على الظواهر المرضية .

فعندما تموت أم يعقوب كمدا على اختفاء دجاجتها نبصر فى جنازتها تولد الحياة من الموت وذلك حينما ظهرت الدجاجة مرة أخرى ووراءها أفراخها التسعة (٢) وفلسفة أم يعقوب فى الحياة تشير إلى ثورة نعيمة على هذه الفلسفة الرجعية المتعفنة التى لا يجنى صاحبها من ورائها شيئا إلا حسرة القلب واتهام الناس وفقدان الحياة .

-٧-

وفى قصتيه " ذنب الحمار ، والبنكار وليا " يجسد مشكلة اجتماعية تتكرر فى حياة الكثيرين من أفراد الطبقات الدنيا أو الوسطى وهى الرغبة الملحة فى الارتفاع إلى طبقة أصحاب النفوذ أو المال ، والنفور من حياة العمال الكادحين بأى وسيلة مهما كانت !!!

والنتيجة أن الإنسان الذى يحاول تغيير جلده والانسلاخ من طبقته بأسلوب غير شريف أو بعيد عن الواقع تكون عاقبته الفشل .

وبطلا القصتين . امرأة أبو شاهين " وزوجة بركات " الحمار " وكلتاهما تطمحان إلى حياة السادة الأجلاء وتنفران من حياة العرق والكبد فزوجة بركات لاترضى أن يظل زوجها حمارا بعد ماكسب ورقة اليانصيب وتصر على بيع الحمار وزوجة ابن شاهين تعنفه وتفرح لأنه باع العنزات وارتاح من الشعر والبعر وفى سخرية واقعية يصف نعيمة نهاية الزوجتين :

زوجة بركات تموت فى حادثة ويموت الأشقر إثر صدمة من سيارة صاحبه القديم وتتحطم السيارة ويصاب بركات . وبعد أيام يوجد على قبر زوجته ذنب الأشقر .

وقالوا : إن الذى قطع ذنب الأشقر - ووضعه على الضريح لم يكن غير بركات وزوجة "

(١) أنظر القصة فى كتابه " أبو بطة ٤٥ - ٥٤ .

(٢) أنظر نصوص هذه الفلسفة ص ٤٦ من المصدر السابق .

أبو شاهين التى أصرت على أن ترسل ابنها إلى البلاد الأجنبية ليتعلم مثل أولاد الأغنياء واضطر أبوه إلى بيع كل مايملك من عنزات .

لم يعوضها ذلك الإبن شيئاً بل اضطر أن يقرر العودة إلى بلده مفقود الرجاء وأرسل إلى أبيه طالبا تكاليف العودة ولكن من أين ؟

وفى لحظة من اليأس والثورة يغطى الأب شهادة ابنه " البكارواليا " بالبعر ويرسل له رسالة مرفقا بها شعرتين من شعر المعزى وبعرتين .

وكتب إلى ولده قائلا : ياولدى شاهين : هذا كل مأبقيته وأبقته لى البكارواليا من المال أرسله إليك لتستعين به على العودة إلى ديارك والا فابق حيث أنت والسلام " .

وهذه النتيجة لاتعطى حلا اجتماعيا سليما ، فالطموح والرغبة فى الارتقاء غير محجور عليها بل هى غريزة فى الإنسان فالرقى مطمعه دائما .

وكان من الممكن أن يجعل لبركات تأثيرا فى زوجته فيحملها على استغلال المال بصورة تحفظ عليه ماله وتسعد حياته فالمشكلة لاتكمن فى كونه حمارا ويعيش حمارا ويموت حمارا . ولكن التغيير هو الحل الاجتماعى المطلوب إذا توفرت الوسائل الصحيحة لذلك .

وتغطية البكارواليا بالبعر فيه إهانة لدور العلم فى التقدم الاجتماعى وفشل الابن لايعطى مبررا لصحة موقف أبيه وبعد موقف زوجته عن الصواب فهى وإن أخطأت الوسيلة فلم تخطىء الهدف .

وكان من الممكن أن يعطى نعيمة للابن دورا إيجابيا فيقوم بالعمل فى أى جهة ويكسب تكاليف اقامته بدلا من الصورة المشوهة التى رسمها له .

والاتجاه الاجتماعى فى كتابات نعيمة ينافس نزعته الفلسفية : وتكشف عن أصالته فى هذا الاتجاه ، وبراعته فى رسم ملامح شخصياته بدقة محكمة . وخبرته العميقة بالمجالات الاجتماعية المختلفة .

فكتابه " أكابر " يحتوى على ١٣ ثلاث عشرة قصة : منها ٩ تسع قصص اجتماعية

وأربع قصص ذات نزعة تأملية فلسفية [١] .

وكتابة " أبو بطة " يحتوى على (١٩) تسع عشرة قصة ومسرحية من فصل واحد [٢] والقصص منها ١١ إحدى عشرة قصة ذات نزعة اجتماعية والباقى ذات نزعة تأملية فلسفية والمسرحية اجتماعية أيضا وهى بعنوان : الورقة الأخيرة .

ومسرحيته " الآباء والبنون " يضمها كتاب مستقل وهى ذات هدف اجتماعى نبيل . وكتابه " هوامش " مجموعة من القصص والمقالات والخواطر أغلبها ينحو المنحى الفلسفى والقصص الاجتماعية فيها قليلة " [٣]

وفى قصته عمود البيت [٤] صورة متكررة فى الريف ، فالعاطفة بين الرجل وزوجته حارة متوهجة ، ويظهر ذلك فى الحوار الذى يدور بينهما ، وحرص كل منهما على راحة صاحبه ، والعمل قسمة بين الرجل والمرأة ، والحياة بسيطة المظهر ، فالطفلة تنام على كيس من الخيش فرشته لها أمها على التراب تحت شجرة غير بعيدة . أما غطاؤها فكان عباءة والدها .

والتسليم بالقضاء والقدر فطرة الفلاح ومنهجه فى الحياة . فهو يبذر البذور ويقول " يد الله قبل يدى " وفى ذلك تحليل لنفسية الفلاح وخبرة بأدق خصائصها والمرض المفاجىء اختبار للعاطفة القوية التى تربط الزوجين ، وإظهار المعاناة التى يعانيها هذا القطاع من الشعب ، ويقع فريسة الثالوث القاتل الفقر والجهل والمرض .

فالدواء ضمة من الأعشاب ، والطبيب يأتى صدفة ، ولولاه لانهار عمود البيت ونعيمة يؤمن بدور المرأة فى المجتمع وفى الأسرة فهى عمود البيت وهى التى تحث زوجها على العمل وهى مصدر الخير الذى يأتيه .

---

(١) انظر فى كتابه " أكابر القصص التالية : (أكابر – مصير ستوت – أم وليست بأم – عدو النساء – موعدان ، على الله – هدية – علبة كبريت – ذنب الحمار) .

(٢) أنظر فى كتابه : " أبو بطة " القصص التالية : (أبو بطة – دجاجة أم يعقوب – اليوبيل الألماسى : شهيدة الشهد – البكاروليا – السرنوك – ثائران . صديقى عبد الغفار . هدية الحيزبون – ميلاد جديد .

(٣) أنظر فى كتابه (هوامش) القصص التالية : النغنوغة – أستاذ – صبر أيوب – زاوية دافئة – حمام – الجورب الجانى – عمود البيت – بائع المكانس .

(٤) أنظر القصة فى المصدر السابق ص ١٤٤ – ١٤٩ .

- ٣ -

- واتجه أدباء المهجر إلى الفئات الاجتماعية الكادحة وعبروا عنها ووصفوها . ووقفوا على مشاكلها ... وتعاطفوا معها .

فالفلاح يصفه " شفيق معلوف فى تقدير وإعجاب بتضحياته وتصوير لكفاحه المستميت ويقول :

وفـــى الحيـــاة ديُـــونَهـــا كرمـــا ومـــا وفيـــت ديـــونـــه
ومضـــى تشـــق الأرض قبضـتـــه بـعـــزم لا يخـــونـــه
عـــرق الجهـــاد همـــى علـــى عينيـــه فانطبقـــت جفـــونـه
هـــلا نظـــرتِ جبينـــه كـــم فيـــه لـــؤلـــوة تـــزينـــه
ضَنَـــنّت عليـــه بالـدمـــوع عيـــونه فبكـــى جبينـــه (١)

وقد اهتزت الصورة عند الشاعر هنا . فليس من المناسب أن يصف العرق باللؤلؤ ، ثم بعد ذلك يصوره دموعا .. ويجعل الجبين يبكى - وقبل ذلك يصف الفلاح بأن لديه عزما لايخونه وقبضته تشق الأرض .. أليس هذا اضطرابا فى الصورة التى أراد الشاعر رسمها للفلاح ؟

- ويصف الراعى ويصور خبرته وقلقه وحبه لأغنامه .. فيقول :

مشـــى وفـــى كفـــه هـــراوتـــه وهـــو وراء القطيـــع مكـــتئـب
ونايـــه مـــن خـــلال جعبتـــه يمـــد عنقـــا كمـــن لـــه أرب
مشـــرد الفكـــر لايثـــوب إذا ينبـــح كلـــب أو نعجـــة تثـــب
وطـــالمـــا فـــى المـــروج نعجتـــه طـــاب علـــى كفـه لها العشب (٢)

- ويخاطب " ساعى البريد " فى لغة رقيقة لامسا جرحه وما هو فيه من مأساة وهذه لفتة إنسانية من الشاعر تدل على وعيه الاجتماعى وتطلعه إلى إسعاد الناس . يقول :

---

(١) شفيق معلوف . لكل زهرة عبير ص ١٢ .
(٢) السابق ص ٢٠ - ٢١ .

ياساعيا بابتسامات توزعها ... على الشفاه بلا من وترديد
ياواهبا كل بشرى حين جدت بها ... راحت تكذب عنك الفقر بالجود
أبعد بذلك فينا مابذلت ترى ... عينيك في مأتم والناس في عيد
لو تعلم الناس يوما أنها سلخت ... أيامها البيض من ليلاتك السود (١)

وفى تصوير بارع تتآزر فيه الحركة والشاعر والصور ينقل إلينا مشهد البستانى وهو يجدد الحياة فيقول :

بصرت به ينقل راحتيه ... على الأغراس من عود لعود
فينزع سلخة من كل غصن ... ويدفنها لتولد من جديد
يداه على التراب ومقلتاه ... معلقتان بالأفق البعيد (٢)

وعن البناء يتحدث الشاعر زكى قنصل فيقول (٣) :

يبنى القصور وكوخه خرب ... ساءت حياة كلها تعب
مشت السنون عليه فاختلطت ... أصباغه وتقارب السبب
بالروح في " تموز " وقفته ... يكويه من أنفاسه لهب
بالروح في " كانون " نظرته ... يصطك من قر ويضطرب

ويخاطبه الشاعر ويعزيه بروح فاترة بعيدة عن الإحساس الثائر فيقول :

ياغائصا بالطين لانصب ... يوهى عزيمته ولا وصب
ماأنت أول كادح عثرت ... آماله وكبابه الدأب (٤)

ومنضد الحروف " يصفه زكى قنصل فى قصيدة طويلة تبلغ ثلاثين بيتا .. وأعيب على الشاعر أنه لايقدر قيمة العمل بمقدار مايرثى لهذا العامل الذى لايأخذ حقه فالعمل بطولة .. ولابد للعامل من مكافأة فعلية وهى أن يخوض الحياة بصلابة وقوة لكن : زكى قنصل يستمر في مشاعره الحزينة فيخاطب " منضد الحروف :

---

(١) السابق ص ٣٩ .
(٢) السابق ص ٦٩ .
(٣) د / خفاجى قصة الأدب المهجرى جـ ٢ ص ٤٢٢ .
(٤) د / خفاجى قصة الأدب المهجرى جـ ٢ ص ٤٢٣ .

ياسافحـــا بـــين المطـــابع قلبـــه ومجـــازفا خلـــف الـــرؤى بشبـــابه
أجنـــيت مـــن دنيـــاك إلا علقمـــا ومـــن الرجـــاء الحلـــو غير سرابـــه (١)

وتختلف نظرة : " زكى قنصل " إلى العامل عندما يصور ماسح الأحذية – فيصوره بشوشا غير حافل بمضايقات الحياة – فؤاده مفعم بالرجاء ، يكافح فى ثبات وعزم وهذا تصوير واع لهذه الفئة التى تخوض غمار الحياة فى طلاقة وعزم وقناعة : يقول (٢) :

فـــى وجنتيـــه طلاقـــة وتـــوَرُدٌ وعـــلى أصابعـــه خضـــاب أســـود
ضـــاقت بـــه الدنيـــا فلم يحفل بها شتـــان عبـــد فـــى الحياة وسيـــد
مـــاهـــاضت البلـــوى جنـــاح رجائه أوشـــل همتـــه الكفـــاح المجهـــد

ويقول عن " بائع الصحف " (٣) وهو يقوم بدور خطير فى المجتمع :

هـــو همـــزة بـــين القلـــوب وسلـم تتنقـــل الأخبـــار فـــى درجـــاته
مـــاتت حـــزازات السيـــاسة عنـــده وتعـــانق الأضـــداد فـــى واحـــاته

ويتعمق الاتجاه الاجتماعى عند رياض المعلوف ، ويكاد يتفرد من بين أدباء المهجر بهذا الاتجاه الذى يصور واقع المجتمع وعاداته وتقاليده تصويرا فنيا واعيا متعاطفا مع تقاليد الريف القديمة ، وطبيعته الفطرية الناطقة بالأسرار وإن كان لا يخلو من الحس الثورى الطامح إلى التغيير .

وقد درست ديوانيه . زورق الغياب ، وغمائم الخريف " وأحصيت عدد القصائد فيها .

فوجدت أن ديوان زورق الغياب يضم (٥٤) أربعا وخمسين قصيدة والقصائد الاجتماعية تبلغ (٢٠) عشرين قصيدة .

وذلك لأننى عددت ملحمة " ليليت " ٩ تسع قصائد لأنها تتكون من تسعة أناشيد فجعلت كل نشيد قصيدة مستقلة .

إذن نسبـــة القصـــائد الاجتماعية تبلغ ٣٧ ٪ من مجموع قصائد الديوان والقصائد

---

(١) السابق ص ٤٢٤ .
(٢) د / نظمى عبد البديع أدب المهجريين أصالة الشرق وفكر الغرب ص ٢٠٤ .
(٣) المصدر السابق .

هى : (١)

- الفلاح - النعيم الأسود - إلى نمام - إلى أمى - دروب اللحون - الديك - رقصة العصفور - إلى ابنتى نجوى - إلى صغيرتى نجوى وحياة - الخوابى - ذكرى أمين الريحانى - ليليت ... وروح التأمل تسرى فى هذه الأعمال . لكنها ليست مكثفة كما هى فى القصائد ذات النزعة الفلسفية . وديوانه " غمائم الخريف " يضم ٨٣ ثلاثا وثمانين قصيدة

والقصائد الاجتماعية تبلغ ٣١ احدى وثلاثين قصيدة

إذن نسبة القصائد الاجتماعية تبلغ ٣٧٪ من مجموع قصائد الديوان

والقصائد هى : (٢)

ليل الكروم - نهاية حب - رقصة العصفور - دروب اللحون - فروع المجد - خداع الدهر ، إلى بنيتى ، جنون رقصة الجرك - ذكريات وذكريات - أمام تمثال والدى - إلى عازفة . الجيل الثقيل - إلى نمام - إلى صغيرتى أمل وإلهام - صداقة الكتاب - الكمنجة الناطقة - لبنان - الفلاح - إلى صغيرتى نجوى وحياة - ياساعتى - الموسيقى الأعمى - المغترب - ليالى المرافع - المصدور - إلى راقصة - إلى راقصة شرقية .

وواضح من عناوين القصائد أنها تعالج واقع المجتمع الخاص والعام . مجتمع الشاعر المتمثل فى أسرته فهو يتحدث عن صغيراته الأربع نجوى وحياة وأمل والهام .

وهو يتحدث عن والده فى قصيدتين . ويتحدث عن أمه فى قصيدتين : وكأن الشاعر أعطانا ميزانا لعاطفته تجاه أبويه وهى متساوية .

ولاينحصر الشاعر فى دائرة أسرته بل يلمس نبض المجتمع المجروح فى صورة الفلاح . ويكرر القصيدة نفسها فى الديوانين ليعطينا مدى اعتزازه بهذه الشريحة الاجتماعية التى تبذل دمها وتروى به مستقبل الإنسان . ويخاطب الفلاح

---

(١) أنظر الصفحات التالية على التوالى : ١٢ - ٣١ - ٤٢ - ٥٨ - ٦٤ - ٧١ - ٧٣ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٧ - ٩٣ - ٩٧ إلى ١٢٠ .

(٢) أنظر الصفحات التالية على التوالى من ديوانه غمائم الخريف : ١٣ -١٧ - ١٥ - ١٥ - ١٩ - ٢٣ - ٢٨ - ٣١ - ٣٤ - ٣٨ - ٤٢ - ٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٩ - ٦٧ - ٦٩ - ٦٩ - ٧١ - ٧٥ - ٧٧ - ٨٢ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٢ - ٩٩ - ١٠٥ - ١١٢ - ١٥٨ - ١٥٩ .

شـــق يافـــلاح صـــدر الأرض شقـا تنعـــم النـــاس بمـــا تجنـى وتشقـى
احـــرث التـــربة وازرع واجتهـــد يدفـــق الخيـــر علـى كفيك دَفْقـا (١)

ولاينسى الشاعر دوره فى مجتمعه الذى يكشف القناع عن سلبيات السلوك الاجتماعى فيوجه اللوم إلى النمام الذى يفسد العلاقات الاجتماعية والقصيدة تتكرر فى ديوانه " زورق الغياب " وغمائم الخريف " وظاهرة تكرار القصائد لاتعيب الشاعر بمقدار ماتـــدل على إلحاحه على الفكرة التى يريدها رفضا كما هو الحال مع " النمام " أو قبولا كما هو الحال مـــع " الفلاح ".

ويقول فى قصيدة " إلى نمام " (٢)

هدمتـــك أيهـــا النمـــام هـــدما وآســـف فـــى شفـاهى أن تذمـــا
أرى فيـــك الإخـــاء غـــدا عـــداء ومعســـول الـــذى ترويـــه سمـــا
تراوغنـــى وتلثـــم لـــى جبينـــى كيـــا هـــوذا إلـــى ابن الله أومـــا

ويتعاطف الشاعر مع دور المرأة فى المجتمع ومشاركتها فى مسيرة الوطن . وتربية النشىء فيخاطبها فى جذالة ومودة حانية .

سيـــرى إلـــى الإصـــلاح والعليـــاء أخـــت الرجـــال وفتنـــة الشعـــراء
سيـــرى أمـــام الجمـــع حولك كلنـا فـــى وحـــدة وطنيـــة ... غـــراء
للـــذود عـــن وطـــن عـــزيز خالـد فـــى الســـاعة النكـــراء والسـوداء
يامـــنْ عطفـــت علـــى الفقير وبؤسه وغـــمرته بكـــفـــك السمحـــاء
ومســـحت جـــرحا داميـــا فشفيتـه بيـــد كبـــرعم وردة قمـــراء !
فكأنهـــا كســـف المسيـــح أدارهـا فشفـــت جـراح النـاس دون دواء (٣)

ولايغيب عنه ما فى المجتمع اللبنانى من حياة لاهية وسهرات صاخبة فيصور هذا الواقع تصويرا ذكيا يخلو من نزعة الرفض أو التقويم لهذه العادات التى ألفها الناس هناك فيتحدث

(١) أنظر ديوان زورق الغياب ص ١٢ وديوان غمائم الخريف ص ٨٦ .
(٢) أنظر ديوان زورق الغياب ص ٤٢ وديوان غمائم الخريف ص ٦٩ .
(٣) أرسل الشاعر إلى هذه القصيدة مشكورا .

عن ليل الكروم وعن " النعيم الأسود ، والخوابى ودروب اللحون ، ويصف عازف القصب ، وجنون رقصة الجرك . وليالى المرافع ، والموسيقى الأعمى .

ويصف الراقصة ، والراقصة الشرقية "ومن قصيدته : إلى راقصة شرقية (١) يقول :

ميـــدى مـــع الألحـــان ميـــدى بقـــوامك اللـــدْن الفـــريـــد
ســـاق أخـــف مـــن الجنـــاح إذا تـــأهـــب للصعـــود
ســـاق تروضهـــا اللحـــون برغـــم منشئهـــا العنيـــد

ومن قصيدته " الموسيقى الأعمى (٢) يقول :

وأعمـــى فـــى تفننـــه بصيـــر يلحـــن مثلمـــا توحـــى السمـــاء
شبيـــه الطيـــر تفقـــأ مقلتـــاه ليقضـــى العمـــر يشغلـــه الغنـــاء
ولايـــدرى بمـــا فـــى الأفق يجرى أطـــل الصبـــح أم هبـــط المســـاء

- وفى كتاب " صور قروية " لمحات من واقع الريف اللبنانى .

والكاتب يحكى هذه الصور فى وصف دقيق واحساس يجسم هذا الواقع ويدافع عنه ولم تبدأ منه نزعة تغيير له إلا فيما يتعلق بكرامة الإنسان ومقاومة السيطرة عليه . وكأن هذه الصور القروية هى النموذج الأمثل الذى يطمح إليه أو الذكريات التى مرت وهو متعلق بها ويخاف أن تفلت من ذاكرته أو ينسيه الزمن ملامحها . ويشفع لكاتبها أنها صور فقط وليست وجهة نظر يبثها من خلال عمل قصصى أو مسرحى أو روائى أو شعرى .

وإنما هى خواطر فقط استوحاها من ريف لبنان . وهى تعطينا تفصيلا دقيقا وأمينا عن عادات الريفيين اللبنانيين ، وتقاليدهم فى فصول السنة الأربعة وأعمالهم اليومية ... ولم يكتب هذه الصور إلا بعد استغراق تام فى أجواء الريف اللبنانى وهو الريفى . ابن " زحلة " المؤمن بجمال "الريف ، والغارق إلى أذنيه فى فتنته الآسرة التى شدته إلى تأملها والتعبير عنها .

والكاتب مؤمن بقيمة العمل . وأبو سليمان " الفلاح " تشخيص حى لهذه القيمة فهو فى أول النهار " مهيب الطلعة . بهيها ، يمضى إلى حقله والمهمزة بيديه وقامته ممشوقه كالرمح . شارباه معقوفان أشقران ، وعيناه زرقاوان صافيتان صفاء سماء بلادنا .

---

(١) رياض المعلوف : غمائم الخريف ص ١٥٩ .

(٢) رياض المعلوف : غمائم الخريف ص ٩٢ .

وفى آخر النهار يعود أبو سليمان متعبا فيقول عنه :

" جلس فلاحنا المتعب حول خوان بيته القديم ليأكل لقمة العافية من عندياته ومؤنه . كالباذنجان المحفوظ بالزيت والزيتون الأسود البلدى الفكه ، فما ألذ وأشهى هذه اللقمة بعد كدح النهار ولو عجنت بعرق الجبين وغمست بدم القلب (١) .

– ويميل الكاتب فى نثره إلى الأسلوب الساخر الذى يغرى القارىء ويرسم البسمة على شفتيه فهو يتحدث عن أبى سليمان فيقول :

« يكل عجليه فيهزان آذانهما كأنهما يفهمان »

وتأكيدا لإيمانه بقيمة العمل . يتحدث عن " حانوت الضيعة " ويثور على واقع ذلك الحانوت لأنه مأوى العاطلين والعجزة الذين يسكرون ويعربدون وفى ذلك إيمان بقيمة العمل وحث عليه . والعمل هو حجر الأساس فى المجتمع الشامخ .

ويتحدث الكاتب عن عادات الناس وتقاليدهم وعن الأسواق وعادات البيع والشراء . فهناك بائعة التفاح ، ونهار الأحد فى الريف ، والقروى الذى يحمل على دابته كل مايريد من السوق وإلى السوق . ويصف المسابقات ومنها مسابقة الجرس ، وهذه المسابقات موضع حكايات العجائز اللاتى يغزلن الجوارب .

– ومن الظواهر الريفية : الخبازة وإشاعاتها المغرضة .

ويصف الكاتب الطبيعة اللبنانية وصفافيه مزج لحياة الناس بهذه الطبيعة ورصد لحركاتهم والتحامهم بهذه الطبيعة فهو لا يعطيها صفة التجريد ولا يجعل منها سيدا لإنسان أو معلمه وإنما يجعلها جزء لاينفصل عنه وهذه نظرة جديدة للطبيعة وهو ولع بتتابع الفصول ... لأنها تؤثر فى سلوك الناس وتشكل أحاسيسهم .

فالصيف يتحدث عنه وعن فواكهه وعادات الناس فيه . ويصف بيوت الجبل وسحر الطبيعة هناك وسعادة الناس بذلك ويتحدث عن نوافير الماء ودروب القرية ، وأسرار تلك الدروب . وللخريف سحره فى لبنان كما للغيم بهجته . كأنما الطبيعة فى هذا البلد خلقت خلقا جديدا واتخذت معانى جديدة كما صور الكاتب وناجى الغيوم بقوله : « تعالى أيتها الغيوم إلينا

(١) رياض المعلوف صور قروية ص ١١ – ١٣ .

وامطرينا برذاذك الخلاب ، وقطراتك العذبة المتلألئة على أوراق الغصون ، كاللآلىء اللماعة البراقة ، الباهرة العيون . تعالى ومتعى أنظارنا بجمالك وسحرك . تعالى فنحن فى عطش شديد إلى منهلك المنعش (١) .

وظواهر الطبيعة هناك مسخرة لخدمة الإنسان ومواساته . فالنهر له حديث ذو شجون ، والنسيم عليل يشفى السقام . وأحجار الجبل مادة خصبة لكل فنان . وهذه نظرة نفعيّة إلى الطبيعة فكما أن روح الإنسان تندمج فى الطبيعة كذلك الطبيعة لاتنفصل عن حياته المادية فهى رصيد مادى وروحى للإنسان .

والطبيعة الحية استرعت إحساس الشاعر والكاتب فوصفها بدقة وشاعرية أضفت عليها حياة جديدة وأثوابا مبتكرة بعد تأمل طويل فى أحوالها وهو يعايشها فى قريته فالطاووس كالشاعر الملهم الذى يبعثر شعره عندما ينظم قصيدة ، والديك : قميصه خمرية مصبغة وممومة بخيوط من شعاع الفجر والمغيب . والدجاجة ، وديك الحبش ، والهدهد والعصفور الدورى ، والعصفور الشويكى ، والكنارى ، .. إلى آخر هذه الظواهر والكائنات الطبيعية التى يصادقها الكاتب ويبثها مشاعره وآماله . (٢)

وكتاب " ريفيات " يسير على المنهج نفسه فهو يتحدث عن رقصة الدبكة اللبنانية ، وقبضاى الضيعة والطاحون ، والناطور ، والتينة ، ويوم قطاف العنب ، والزيتون والورود ، ويتحدث عن الرغيف والطربوش والسراج ، والمختار ، والقافلة والبط ، والحطاب ، وكلها مظاهر ريفية تكمل لوحة أراد الكاتب رسمها بصدق وحب وسخرية أحيانا وتعرية للواقع الاجتماعى المتخلف في فترات من الزمن الماضى فهو يصور شخصيات الريف ، ومواسم الحصاد ، والمظاهر الريفية من الملبس والمأكل والمشرب ، والعادات والتقاليد .

والأسلوب الذى عالج به الكاتب الموضوعات السابقة فيه إضافة إلى لغة الأدب المهجرى ، وقد أرسلت للشاعر رسالة أدبية أوضح فيها أهم سمات ذلك الأسلوب وقد نشرتها مجلة الأديب اللبنانية وهذا نصها :

إلى الشاعر رياض المعلوف

---

(١) رياض معلوف : صور قروية ص ٨٢ .

(٢) أنظر " صور قروية " للوقوف على مزيد من التفاصيل .

تحية الشعر والمحبة والسلام

كتبت دراسة عن الاتجاه الاجتماعى فى أدبكم شعرا ونثرا . وهو جزئية من رسالة للدكتوراه ، ووجدت أنكم تمثلون هذا الاتجاه فى الأدب المهجرى أصدق تمثيل وأحصيت القصائد الخاصة بهذا الاتجاه من ديوانيكم - زورق الغياب وغمائم الخريف ومن العجيب الغريب أن النسبة فى الديوان واحدة هى ٣٧ ٪ تقريبا من مجموع النتاج .

وبعد دراسة كتابكم - صور قروية ، وريفيات : والوقوف على اندماجكم فى شخصيات الريف ، ومواسم الحصاد ، والصور الريفية والأشجار ، والعادات الريفية فى الحقول والبيوت وجدت أن أسلوبكم طريف جديد . وأهم سمات ذلك الأسلوب :

البعد عن التعقيد اللفظى وعدم التهويم أو الإغراق فى الخيال ، والميل إلى التشبيهات المبتكرة والمنتزعة من البيئة بإحساس وفن خالص ، وسيطرة روح الفكاهة والسخرية جذبا للقارىء ، والوصف الدقيق للشخصيات .

ورياض المعلوف ينفرد من بين أدباء المهجر بهذه الميزة وهى النزعة الاجتماعية التى تصور واقع المجتمع وعاداته وتقاليده بصدق وإحساس رومانسى - وخاصة عندما يتحدث عن المختار فهو يسخر منه ويصوره ممثلا لعهد مضى " وكم من قتيل مضى شهيد المخترة وخاتمها السحرى !! يقرأ مالا يقرأ دون قراءة .. والرغيف معجون بعرق الجبين ودم الحشاشة واللقمة منه دونها أهوال وأهوال ، ويخاطب الرغيف قائلا :

كن إنسانا أكثر من الإنسان . وتكرم على من حرمهم الدهر لقمتك ، وعلى من اشتاقوا كثيرا إلى طلعتك واطلالتك !!

وإلى اللقاء مع الأدب والفن والصداقة .

البيضاء - ليبيا / صابر عبد الدايم يونس (١)

- وينفر الكاتب من الظلم الاجتماعى ويتحدث فى سخرية وفكاهة عن شخصية المختار ويقول عنه :

" وكم من قتيل مات : شهيد المخترة وخاتمها السحرى "

(١) مجلة الأديب اللبنانية ١٩٧٩ م

ويصفه فى تهكم لاذع قائلاً :

« يقرأ مالا يقرأ دون قراءة »

" وإذا ماقرأ أو كتب لاسمح الله " فهناك المصيبة ، لأنه يجب أن تكون منجما لتفهمه " (١)

وتمتد ثورته إلى قبضاى الضيعة " حيث يحارب الاستغلال فى شخصه ويسخر من نزعة السيطرة واستعباد الأحرار الضعفاء . فيصفه وهو فى قمة ظلمه وعنفوانه ليجعل القارىء مشاركا له فى الثورة على مثل هذا الطاغية . ويقول عنه :

الرصاص عنده هواية وغواية ، وصوته فى مسمعه أعذب من صوت الكمنجة والناى ، كلما حضر عنترنا عُرسًا حوّله إلى مأتم برصاص مسدسه الذى يصيب قضاء وقدرا أحد الأبرياء فيرديه قتيلا " (٢) .

ويتجلى الحس الاجتماعى لدى الشاعر فى عيد الحصاد . فهو يتعاطف مع الفقراء ويبتهج بمقدم الحصاد لأن الفقير سيجد مايكفيه مذلة الحاجة " وهذه الحبوب العسجدية هى سبائك . بل دراهم اختزنت فى جيوب السنابل ، وتساقطت فى يد الفلاحين الفقراء وجيوبهم لتغنيهم عن الناس (٣) .

ويتضح إحساسه الإنسانى بالعدل الاجتماعى حينما يخاطب الرغيف قائلا « كن إنسانا أكثر من الإنسان ، وتكرم على من حرمهم الدهر لقمتك وعلى من اشتاقوا كثيرا إلى طلعتك وإطلالتك » (٤) .

والرغيف يرمز إلى شقاء الإنسان فى حياته وحتمية ذلك الشقاء فالرغيف معجون بعرق الجبين ودم الحشاشة واللقمة منه دونها أهوال وأهوال .

(جـ) النزعة التأملية روح سارية فى اتجاهات الأدب المهجرى المختلفة

أوضحت سابقا أن الاتجاه القومى كان له دور فى إثراء الحركة الأدبية فى المهجر وكذلك

---

(١) رياض معلوف : ريفيات ص ٢١ .
(٢) السابق ص ٤٨ .
(٣) السابق ص ٧٢ .
(٤) السابق ص ٣٩ .

الاتجاه الاجتماعى .

وإذا حاولنا أن نعقد موازنة بين الاتجاهين السابقين وبين النزعة التأملية للوصول إلى نتيجة علمية توضح دور التأمل وأهميته فى الأدب المهجرى ستتضح أمامنا الحقائق الآتية :

أولاً : الاتجاهان : القومى والاجتماعى لم يأخذا صفة العموم بل انحصرا فى دائرة شعراء معينين .

فالاتجاه القومى اشتهر به أبو الفضل الوليد والقروى وجورج صيدح والاتجاه الاجتماعى برز فى نتاج رياض المعلوف النثرى كما أوضحت سابقا وكذلك فى أدب " نعيمة " القصصى والمسرحى ، وفى شعر زكى قنصل أيضا أما النزعة التأملية فتكاد تكون قاسماً مشتركا بين شعراء المهجر كل حسب موهبته الفنية واتساع آفاق تفكيره .

ثانياً : النزعة التأملية تطبيق للمنهج النقدى الذى اختطه نعيمة فى كتابه الغربال وجعله منارا للشعراء المهاجرين وغيرهم .

والشعراء الذين تعرض " ميخائيل نعيمة " لنقد بعض أعمالهم هم : نسيب عريضة ، وأحمد شوقى ، والشاعر القروى ، وأمين الريحانى ، والشريقى ومن مراجعة ذلك النقد فى عمومه فإنه يمكن القول بأن أهم القضايا التى أثارها تتركز فيما يأتى : -

١ - دلالة الشعر على شخصية قائله .

٢ - الصدق الفنى ضرورة من ضرورات الإبداع الجيد .

٣ - الصورة الشعرية وقيمتها التعبيرية .

٤ - البناء العضوى للقصيدة وأثر ذلك فى تماسك بنائها "(١)

ولم يكن منهج نعيمة منهجا علميا فى نقده وإنما كان يستخلص النتائج من خلال دراسته للعمل المنقود ، وقد تكون هذه الطريقة أجدى من غيرها إذا بعدت عن التعميمات والتهويمات والاستطرادات مثلما فعل نعيمة فى معظم آرائه وكان الطابع الإنسانى هو المسيطر عليه فهو يعد الوجود الإنسانى المشترك هو مصدر الإلهام الحقيقى لكل عمل فنى جيد .

والاتجاه الفلسفى غلب على نتاجه ... وكان له أثر فى آرائه النقدية وعاب على القروى

---

(١) د / عبد الحكيم بليغ - حركة التجديد الشعرى فى المهجر ص ١٥٩ .

أكثر أبياته الوطنية التى تارة يؤنب فيها شعبه لأنه كان مستعبدا ولايزال مستعبداً ، وطورا يبكى عز بلاده وحرية بلاده وعزم بلاده التى قضى عليها الأجنبى .

وقال (١) " العالم العربى سيهمل الكثير من قصائد القرويات لكنه لن يهمل خطاب الشاعر للبقر فى قصيدته " بين البقر والبشر "

تشكين فصل الشتاء البارد القاسى
ماذا أقول أنا فى عشرة الناس
نامى على الثلج نامى ليس من باس
فالثلج غير فؤاد دون إحساس

وإن تكن هاطلات الغيث تغشاك
طوباك فالقطر غير الدمع طوباك

ثالثاً : إذا تصفحنا نتاج المهجريين شعرا ونثرا نجد أن النزعة التأملية روح سارية فى كل موضوعات أدبهم واتجاهاته المختلفة لاتكاد تغيب عن مشاعرهم وهى تتجه إلى المثيرات التى توحى لهم بما يكتبون من شعر ونثر ففى ديوان القروى كما أوضحت سابقا يبرز الاتجاه القومى فى وضوح ونصوع وبرغم هذا نجد روح الشاعر التأملية لاتغيب بل تشده كثيرا ليعمق نظرته فى كل اتجاه يبدع فيه .. فهو حتى فى هجائه يستمد من الطبيعة أدواته الفنية ويقيم دعوى الإنكار على ذلك الوجه الكالح ويقول (٢)

للروض فى وجه الغدير ملامح والبان فى كف النسيم مراوح
وروائح الورد الندىّ فوائح وعلى الجماد من الحياة لوائح
والشمس مشرقة ووجهك كالح

وهو لايخدع بالجمال الشكلى بل ينفذ إلى جوهر الأشياء فيقول عن الجمال الباطن (٣) :

أهيم بحسن فى وجوه خفية تحجبها الأجساد مثل البراقع
ولو أننى أبغى من الحسن ظاهرا لفتشت عنه فى زوايا الشوارع

ويخاطب البحر فى أسى بالغ وهو ينوء بالهموم الثقال (٤)

يابحركم حطمت من صخر ولكم أذيت ، على مدى الدهر
ترغى على شطيك مضطربا متوعدا متبددا غضبا
مهلا فذلك ليس بالأمر
لو كان موجك يصنع العجبا لأزاح هذا الصخر عن صدرى

(١) ميخائيل نعيمة : الغربال ص ١٦١ .
(٢) رشيد سليم الخورى ديوان القروى جـ١ ص ٢٢٥ .
(٣) م . ن ص ٢٤٩ .
(٤) م . ن ص ٣٦٧ .

والاتجاه الاجتماعى عند رياض المعلوف فى ديوانيه : زورق الغياب ، وغمائم الخريف كما أوضحت سابقا تبلغ نسبته ٣٧ ٪ من مجموع نتاجه .. ونظرته إلى مشاكل مجتمعه فيها تأمل للواقع الذى يجرى حوله ، وفيها سخرية من الذين يتحكمون فى قوت الضعفاء ، وفيها أحيانا دعوة إلى الثورة على هؤلاء المستغلين .

– والنزعة التأملية عند أبى ماضى ونعيمة وجبران ونسيب عريضة ، وفوزى المعلوف هى لب أدبهم وفكرهم .

فديوان " همس الجفون " يتضمن ثلاثين قصيدة منظومة بالعربية ، وأربع عشرة قصيدة مترجمة من الإنجليزية إلى العربية ، هو الذى كتبها بالإنجليزية وكلها ذات نزعة تأملية فلسفية فيها إشباع للعقل وإمتاع للعاطفة .

وقد يبدو نتاج نعيمة قليلا ، ولكن هذه القلة لاتعود إلى جدب الحقل الشعرى عنده ولكن إلى (١) عدم الرضا عن الخوض بالشعر فى كل موضوع وإلى عدم الإصغاء إلى صوت الانفعال إلا إذا كان عميقا وقد قصر شاعريته أو اقتصرت هى به على حديث النفس والتأمل .

– وحين نتصفح قصائد الديوان ونتأملها نراها عميقة المعانى تتمتع برؤية إنسانية شاملة ونزعة فلسفية تجول فى مشاهد الطبيعة وتتأمل عالم الإنسان الخارجى والباطنى فنراه يتحدث عن " النفس الإنسانية " فى قصيدته " من أنت يانفسى " (٢) ويتساءل عن حقيقتها وفى النهاية يخاطبها " أنت فيض من إله .

ويتحدث فى قصيدته من " (٣) سفر الزمانْ و يعبر عن فلسفته فى " وحدة الوجود " وقصيدته " ابتهالات " تعبر عن معتقده فى " الله " وهو أنه موجود فى كل الوجود " .

وقصيدته " يارفيقى " (٤) توضح رأيه فى جمال الوجود وإنه من جمال الله ؛ والكفُر أن نرى فيه شيئا قبيحا وفيها إشارة إلى عقيدته فى تناسخ الأرواح يقول مخاطبا رفيقه :

قل أطعنا فى كل ماقد فعلنا ... صوت داع إلى الوجود دعانا
فبنينا من الحياة ولكن ... قد أعدنا إلى الحياة جنانا
وأكلنا منها ولكن أكلنا ... وشربنا لحومنا ودمانا

وقمة التأمل فى نتاج أبى ماضى نجدها فى ديوانيه " الجداول " والخمائل ففى فاتحة ديوان الجداول يتضح أن التأمل هو ذروة الفن الشعرى حيثما يقول (٥) :

(١) د إحسان عباس ، محمد يوسف نجم الشعر العربى فى المهجر ص .
(٢) م . نعيمه : همس الجفون ص ١٦ .
(٣) م . ن ص ٢٦ .
(٤) م . ن ص ٧٩ .
(٥) إيليا أبو ماضى – الجداول ص ٥٧ .

هـــذه أصـــداء روحـــى فلتكـــن روحـــك أذنـــا
إن تجـــد حســـنا فخـــذه واطـــرح ماليـــس حـــزنا
إن بعـــض القـــول فـــن فاجعـــل الإصغـــاء فنـــا
تـــكُ كالحقـــل يـــرد الكيـــل للـــزارع طنّـــا

رب غيـــم صـــار لمـــا لمستـــه الـــريح مـــزنـــا
مالصـــوت أغلقـــت مـــن دونـــه الأسمـــاع مَعْنـــى
لســـت منـــى إن حســـبْت الشعـــر ألفاظـــا ووزنـــا
خالفـــت دربـــك دربـــى وانقضـــى ماكـــان منـــاً

والديوان يحفل بمعان سامية محلقة فى عالم يرسمه الشاعر قريب من المثالية ، وأحيانا يفلسف الحياة ويضفى عليها طابع التفاؤل ، ونراه فى مواقف كثيرة حائراً متشككا ويصور السماء فيراها أنها تختلف من إنسان لآخر فهى كالأمانى كل إنسان يتصورها بدافع من ظروفة وبيئته .

والطبيعة عنده ترجمان الأسرار ومكمن الأشواق ..

ويعبر الشاعر عن فلسفته فى " التقمص والتناسخ فى قصيدته " قطرة الطل ، والناسكة يقول :

إن تـــر زهـــرة ورد فوقهـــا للطـــل قطـــرَهْ
فتـــأملهـــا كـــلـــغـــز غامـــض تجهـــل ســـرَّهْ
ولتـــكن عينـــك كفـــا وليكـــن لمســـك نظْـــره
لـيـســت الـحـمـــراء جـمـــره لا ولا البيضـــاء دره
رب روح مثـــل روحـــى عـــافت الدنيـــا المضـــرة
فارتقـــت فـــى الجـــو تبغـــى منـــزلا فـــوق المجـــرة
علـهـــا تحيـــا قليـــلا فـــى الفضـــاء الحـــر حُـــرَّهْ
ذرفتهـــا مقلـــة الظلمـــاء عنـــد الفجـــر قَـــطْرَهْ

ففى هذه القصيدة تتمثل الوحدة الفنية التى تتسم بها التجربة الشعرية التأملية

فالقصيدة صورة شعرية تتآزر فيها الألفاظ والعبارات والصور الجزئية لتعطينا بناء عضويا متماسكا .. يعبر عن نظرة عميقة للأشياء حتى ولو كانت ضئيلة وذلك أهم مايميز التجربة التأملية عن غيرها .

فالشاعر يطلب ممن يرى قطرة الطل فوق الوردة أن لايغفل عنها ، بل يتأملها ويبتعد عن النظرة السطحية ... فالعين تلمس واليد تنظر وهذا مايسمى بمبدأ تراسل الحواس .. وهو مذهب الرمزيين فى أدائهم التعبيرى .

وينتقل الشاعر إلى تفسير ذلك اللغز فيصور روحه وقد ملت الدنيا ثم ارتقت فى الجو تنشد الحرية فعادت مرة أخرى إلى الأرض قطرة من الطل تسقى الزهور وتجمل وجه الحياة هكذا رأينا الشاعر يبدع فى تجربته ويحيل المنظر العادى إلى شىء غير مألوف ويصوغ منه مثالا لتجسيد رأيه الفلسفى فى الحياة .

وتتكرر هذه الظاهرة كثيرا عند أبى ماضى ونعيمة وجبران . ويقلدهم " نعمة قازان " فى معلقة الأرز ونسيب عريضة .

فجبران . يغلف التأمل نتاجه شعرا ونثرا . فمقالاته شعر منثور وقصصه تطبيق لأفكاره ومعتقداته فى النفس والوجود والحياة ، وأشعاره أشواق حارة إلى العالم الذى ينشده .

إنه يخاطب الكون قائلا (١) .

أيها الكون العاقل ، المحجوب بظواهر الكائنات ، الموجود بالكائنات وفى الكائنات وللكائنات ، أنت تسمعنى لأنك حاضر ذاتى ، وأنك ترانى لأنك بصيرة كل شىء حى ، ألق فى روحى بذرة من بنور حكمتك لتنبت قصبة فى غابتك وتعطى ثمرا من أثمارك . آمين .

ويقول من مسرحيته " إرم ذات العماد " (٢) .

« كل مافى الوجود كائن فى باطنك وكل ما فى باطنك موجود فى الوجود وليس هناك من حد فاصل بين أقرب الأشياء وأقصاها أو بين أصغرها وأعظمها ، ففى قطرة الماء الواحدة جميع أسرار البحار ، وفى ذرة واحدة جميع عناصر الأرض فى حركة واحدة من حركات الفكر كل ما فى العالم من الحركات والأنظمة

---

(١) جبران البدائع والطرائف ص ١٠

(٢) م . نعيمة الغربال ص ١٣٦ .

ونسيب عريضة فى الأرواح الحائرة ، واحتضار أبى فراس ، وعلى طريق إرم ينظر إلى الوجود نظرة حائرة ولكنها ثاقبة تنفذ إلى الصميم ولاتكتفى بموقف الدهشة فقد (١) أوجد لحيرته جسما تكاد تلمسه اليد ، وأعطاها لسانا يخترق ستائر القلب ، وينفذ إلى أعماق الروح . فصورته واقفا على ملتقى طرق الحياة يحث نفسه على المسير ، ونفسه حائرة.

ونسيب عريضة من الذين خرجوا من مظهر الحيرة ليكتشفوا آفاقا أجمل وأبعد من آفاق الحيرة الضيقة .

أما الآفاق التى اكتشفها نسيب عريضة بعد تخلصه من الحيرة وآفاق الروح التى تقوم عليها قبة الوجود الذى لايحد . إذ مال ببصره عن ثانويات الحياة إلى أولياتها وعن مرئياتها إلى ماوراء مرئياتها .

ويشارك نسيب عريضة فى حيرته وألمه الشاعر رشيد أيوب . لكن الألم والحيرة عند نسيب عريضة كان لهما أثر فى تكوينة الفلسفى حيث عبر عن نفسيته القلقة تعبيرا مكثفا عميقا .

أما " رشيد أيوب (٢) فلم يكون فلسفة عميقة وإنما طالت حسرته وتمزق قلبه الحساس إنه" موزع بين آماله الضائعة ، وآلامه الممضة ، هو برم بالناس ، برم بالفقر هارب من واقع الحياة المؤلم .

وقادته هذه الحيرة إلى مراجعة نفسه وتأمل أحوال الناس والاستفادة من تجارب الأيام : يقول مخاطبا نفسه (٣)

لا تشتكى الدنيا إلى أحد ... فلكم مررت بأبلغ الدرس
فالناس يبتعدون عن رجل ... يشكو إليهم حالة البؤس
هاتى من الأشعار أطربها ... وتجاهلى مافيك من يأس
عودى عن الأحلام ... فى عالم الأمس
وامشى مع الأيام ... والخمر فى الكأس

---

(١) م . نعيمة الغربال ص ١٣٦ .

(٢) د / خفاجى قصة الأدب المهجرى ص ٣٣٩ .

(٣) من ديوان " هى الدنيا " ص ٤٣ نقلا عن كتاب قصة الأدب المهجرى للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ص ٣٤٢ .

ويقول من قصيدته " المسافر " (١)

دعـــته الأمانـــى فخلـــى الـربـــوع وســـار و فى النفـــس شـــىء كثيـــر
وفـــى الصـــدر بين حـــنايا الضلـــوع لنيـــل الأمانـــى فـــؤاد كبيـــر
فحـــث المطـــايا وخـــاض البحـار ومـــرت ليـــال وكـــرت سنـــون

ولـــــم يرجـــــع

وليس بخاف مافى أسلوب " رشيد أيوب من سهولة وبعد عن التعمق فتجربته برغم أنها مريرة لكنه لم يستطع أن يعطيها صفة الشمول والثراء الفنى .

(١) م . ن ص ٣٥٠ .